

محاضرات مقياس مدخل الى علم الاجتماع
السنة الأولى علوم سياسية
الأستاذ : عقوبي مولود
قسم العلوم السياسية كلية الحقوق جامعة غليزان
الموسم الجامعي 2023/2022

علم الاجتماع

علم الاجتماع هو العلم الذي يدرس الظواهر الاجتماعية كما هي على أرض الواقع وليس بالشكل الذي ينبغي أن تكون عليه، سواء كان ذلك على شكل جماعات أو مجتمعات تسهم هذه الدراسات في مساعدة كل من العاملين في مجال التربية، والسياسة، والطب وغيرهم من الوصول إلى الحلول الواقعية للمشكلات التي تواجههم.

نشأة علم الاجتماع يعد عبد الرحمن ابن خلدون المؤسس العربي والحقيقي لعلم الاجتماع، عندما كتب عنه في كتابه مقدمة ابن خلدون وأطلق عليه علم العمران البشري، أما بالنسبة للمؤسسين الغرب يعدّ أوجست كونت هو صاحب فكرة أول دراسة علمية لعلم الاجتماع في القرن التاسع عشر عام 1838، بحيث كان مخططه الاجتماعي مثالياً حيث اعتقد أنّ كل أنماط الحياة الإنسانية لجميع الشعوب في كل أنحاء العالم مرت وعاشت نفس المراحل الثلاثة (المرحلة الدينية، والمرحلة الفلسفية، والمرحلة العلمية). كما حاول كونت التوصل إلى بعض القوانين الاجتماعية والتي قسّمها إلى نوعين: قوانين الثبات أو النظام، وقوانين الحركة أو التغير، ويعتبر كونت أول من استخدم كلمة علم الاجتماع (Sociology) وهذا المصطلح مكوّن من كلمتين من أصل لاتيني وهما (Socio) وتعني المجتمع، و (logy) وتعني علم، وهكذا يعني علم الاجتماع بدراسة المجتمع على مستوى عالٍ من التعميم والتجريد، وبعد موت كونت انخرفت الدراسة في علم الاجتماع عن الحدود التي رسمها كونت للعلم الجديد، فبعض الباحثين ألحقه بعلم الجغرافيا، والبعض بعلم الحياة وبعضهم كان يدرسه في إطار علم النفس، وبعد موت كونت جاء إميل دور كايم وهو أحد تلاميذه، وهو عالم اجتماع فرنسي، ويعتبر زعيم المدرسة الفرنسية لعلم الاجتماع والتي لا تزال قائمة حتى يومنا هذا، درس فيها معظم ظواهر المجتمع ونظمه، ووصل فيها إلى نتائج وقوانين على درجة عالية من الأهمية. بقيام الحرب العالمية الثانية انتقل مركز علم الاجتماع إلى الولايات المتحدة الأمريكية وذلك لضخامة الإمكانيات فيها، وعرفت بعدها كثير من البلدان العربية علم الاجتماع في القرن الحالي.

تطور علم الاجتماع في أوائل القرن التاسع عشر، واكتسب أبعاده الحقيقية بأواسط القرن نفسه، وذلك عندما حدد العالم الفرنسي أوجست كونت الإطار العام لعلم الاجتماع، وأطلق عليه اسم علم دراسة المجتمع، كما كان للمهندس الإنجليزي هربرت سبنسر أهمية كبيرة في ابتكار علم مستقل يبحث في ظواهر الحياة الاجتماعية بشكل عام، وبالتالي فعلم الاجتماع يعد من العلوم الحديثة نسبياً بالمقارنة بالعلوم الاجتماعية الأخرى مثل: الاقتصاد، وعلم الإنسان، والتاريخ، وعلم النفس، وبالتالي فهو ظهر كردّ أكاديمي على تحدي الحداثة، فعلم الاجتماع لا يمكن أن ينفصل عن تاريخ الفلسفة الاجتماعية، وبالتالي ارتبطت نشأة علم الاجتماع بنشوء الفلسفة مثل بقية العلوم الأخرى، حيث إنّ علم الاجتماع لا يمكن أن يفهم الواقع دون إطار فلسفي يعود إليه في تجريد الظاهرة الاجتماعية، والربط بين معطياتها ومعطيات المجتمع والتاريخ. تطور علم الاجتماع بعد أن حصل على استقلاله الذاتي، وذلك بفعل تعقّد الحياة الاجتماعية الذي أدّى إلى تشعبه إلى عدة ميادين مختلفة، بحيث يدرس كل منها جانباً من جوانب الحياة الاجتماعيّة .

مراحل تطور علم الاجتماع

ساهم الكثير من علماء علم الاجتماع بشكل بارز في تطور العلم بشكل كبير، وكان للعلماء المسلمين دوراً عظيماً أيضاً في دراسة المجتمع وبخاصّة في عصر النهضة العربية الإسلامية التي كانت في العصور الوسطى، وبالتالي فقد حقّق علم الاجتماع تقدماً هاماً حتى أصبح علماً مستقلاً في أواخر القرن التاسع عشر وأثناء النصف الأول من القرن العشرين، ومن بين أولئك العلماء المساهمين في تطوّره :ابن خلدون يرى ابن خلدون أنّ المجتمعات الإنسانية قد مرت في ثلاث مراحل وهي النشأة، والنضج والاكتمال، والهرم والشيخوخة حيث يفنى المجتمع، وقام بتقسيم المجتمع إلى قسمين، بدوية وتمتاز بالبساطة والخشونة والشجاعة والكرم، وحضرية وتمتاز بالرفقة والترّف، كما أكّد ابن خلدون أن البيئة الجغرافية تؤثر على الحياة الاجتماعية، وركز على السلطة وأدرك أهميتها في الحفاظ على المجتمع والدولة، وبذلك فقد حدد ابن خلدون موضوعات علم الاجتماع ورسم منهجه، إلا أنّ آراءه لم تنتشر في عصره .أوجست كونت هو عالم فرنسي وأول من أطلق اسم علم الاجتماع على هذا النوع من الدراسات حيث يرى أن الحياة الاجتماعية تحكمها قوانين كسائر الأشياء الطبيعية، وقسم كونت علم الاجتماع إلى قسمين رئيسيين هما الاستاتيكا الاجتماعية: والذي يهتم بدراسة البناء الاجتماعي من منظور التكوين والدور في المجتمع، كما حدّد ثلاثة عوامل تربط المجتمع كوحدة استاتيكية وهي الدين، واللغة، وتقسيم العمل، بالإضافة إلى أنّه قدّم المراحل الثلاث وهي اللاهوتية وهي أفكار البشر التي تركز على القواعد الدينية فقط، والميتافيزيقية والتي ينتشر فيها الوحدة الاجتماعية والأفكار الفلسفية، والعلمية أو الوضعية والتي تنتشر فيها استخدام القوانين، والفكر العلمي دون تدخل العوامل الشخصية .أميل دور كايم هو عالم فرنسي أصدر أول مجلة اجتماعية في باريس، وألّف الكثير من الكتب في علم

الاجتماع وأهمها تقسيم العمل، وقواعد المنهج في علم الاجتماع، والانتحار، وقام بتقسيم دور المجتمعات الإنسانية من ناحية التضامن إلى قسمين، تضامن آلي ويشمل المجتمعات البسيطة، وتضامن عضوي ويشمل المجتمعات المعقدة. ماكس فيبر هو ألماني الجنسية كتب عن الدين، والسياسة، والسلطة، والبيروقراطية، كما اهتم بالرأسمالية ونشأتها، وقسم السلطة إلى أنواع رئيسية وهي السلطة التقليدية، والسلطة العقلانية القانونية، والسلطة الملهمة الكرزمية، وهو أكثر العلماء اهتماماً بمسألة الموضوعية في البحوث الاجتماعية، وتعتبر بحوثه في مجال الإدارة، والاقتصاد، والسياسة أهم المراجع للعاملين في تلك الميادين

أبرز مفاهيم علم الاجتماع

المجتمع هو عبارة عن مجموعة من الأفراد الذين يعيشون على قطعة من الأرض لفترة طويلة، تسمح لهم بإقامة العلاقات الاجتماعية المستمرة والمستقرة، ومن مقومات المجتمع: أرض معينة، وسكان، وعلاقات تاريخية، وحد أدنى من الاكتفاء الذاتي. الثقافة هي كل ما يكتسبه الإنسان من الحياة باعتباره فرداً في المجتمع، أو يمكن تعريفها بأنها إرث من العادات والتقاليد التي يتبعها الفرد لتلبية حاجاته، وتوجد ثقافتين مادية، وهي كل شيء ملموس، وثقافة معنوية، وهي كل ما يتصل بالرموز، والتقاليد، والعادات، كما أن الثقافة تتميز بعدة خصائص هي أنها عامة يشترك فيها كل المجتمع، كما أنها تُكتسب بالتعلم، وهي رمزية وتجريدية. البناء الاجتماعي هي العلاقات الثابتة والمستقرة عبر الزمن كالأسرة، ولفهم البناء الاجتماعي لا بدّ من فهم ما يأتي: المكانة الاجتماعية: يُقصد بها الموقع الذي يشغله الفرد، ويتحدد بناءً على تقييم المجتمع للأفراد. الدور الاجتماعي: هو الجانب السلوكي للمكانة الاجتماعية، أي ما هو مطلوب من الفرد القيام به لتحقيق هذه المكانة. النظام الاجتماعي هو عبارة عن مجموعة أدوار اجتماعية منظمة ومتصلة بمجال محدد من مجالات الحياة، وخاضعة لقواعد ومعايير اجتماعية ثابتة مثل العمل والأسرة. العمليات الاجتماعية هي عبارة عن مجموعة من التفاعلات والتغيرات المؤدية إلى ظهور نمط سلوكي متكرر والتي تخلق حركة ديناميكية تجعل المجتمع في حالة تغيير مستمر. النسق الاجتماعي يُقصد به العناصر التي تتفاعل مع بعضها، والتي يحقق كل منها وظيفة في المنظومة العامة للنسق الاجتماعي، ويمكننا أن نطلق على كل من وحدات السلوك نسق إذا توفرت فيها شروط معينة وهي: وجود عناصر أو مكونات. توفر وظائف واضحة للعناصر. توفر التفاعل بينها. توفر قوانين ومعايير. وجود بيئة خارجية يتعايش معها النسق ليؤدي وظيفته الفعل الاجتماعي هو كل سلوك يحقق هدف معين باستعمال وسيلة أو طريقة مشروعة بناءً على قاعدة سلوكية يقرها المجتمع. الفاعل والآخر إنّ الفاعل هو الفرد الفاعل للسلوك، أما الآخر فهو الفرد الذي يستقبل هذا السلوك ويشكّل التفاعل الاجتماعي.

أهم رواد علم الاجتماع

أوغست كونت وُلد الفيلسوف الفرنسي أوغست كونت المعروف باسم أبو علم الاجتماع في موندلبيه بفرنسا، في 19 من كانون الثاني عام 1798م، أمّا والده ووالدته فهما الكونت لويس كونت مسؤول الضرائب وروزالي بوير، واللذان كانا من ذوي الانتماء الملكي الخالص للكاتوليك الرومان قبل الثورة الفرنسية، والتي على إثرها غيّر أوغست كونت من اتجاهاته من خلال رفض الكاثوليكية الرومانية الروحانية.

وكانت أبرز مساهماته في علم الاجتماع ما يأتي: أول من طوّر مفهوم علم الاجتماع، حيث صاغ فكرة أنّ علم الاجتماع هو علم المجتمع أو علم السلوك البشري. اخترع الفيزياء الاجتماعية كنوع من العلوم الجديدة، وقسمها إلى جزأين رئيسيين وهما الاستاتيكا الاجتماعية وتعني الثبات الاجتماعي الذي يتعامل مع القوى الجامعة للمجتمع، والديناميكية الاجتماعية وتعني العوامل المسببة للتغيّر الاجتماعي. أنشأ الفلسفة الإيجابية والتي تضمنت 6 مجلدات تُوضّح قوانين المجتمع وأطر تشغيلها، على غرار العالم المادي. أنشأ كتاب برنامج العمل العلمي اللازم لإعادة تنظيم المجتمع ونشره عام 1822م. حدّد 3 طرق لاكتشاف القوانين الثابتة للعالم الطبيعي والاجتماعي، وهي: الملاحظة، والتجربة، والمقارنة. اشتهر بإيجاد قانون المراحل الثلاث وهي: اللاهوتية، والميتافيزيقية، والإيجابية. أوجّد الفارق بين الإحصاءات الاجتماعية والديناميات الاجتماعية، وصاغ هذه المفاهيم مرة أخرى باسم البنية الاجتماعية والتغيّر الاجتماعي. طوّر الوظيفة الهيكلية. دمج بين النظرية والممارسة. وُحّد جميع دراسات الجنس البشري، وكان مخطّطه الاجتماعي نموذجياً في القرن التاسع عشر.

إميل دوركايم وُلد إميل دوركايم في لورين بفرنسا عام 1858م، التحق بمدرسة الأساتذة العليا في باريس، ثمّ تعيّن في جامعة بوردو عام 1887م في قسم الفلسفة وله عدّة مؤلفات، كما قام بتدريس مادة التربية الأخلاقية، وبعدها قام بتدريس أول مُقرّر في علم الاجتماع في جامعة فرنسية، وعُيّن بعدها كبروفيسور في السوربون في باريس وبقي في ذلك المنصب حتى وفاته، وكانت أبرز مساهماته في علم الاجتماع ما يأتي: ألّف العديد من الكتب، ومنها الآتي: تقسيم العمل في المجتمع عام 1893م. قواعد الأسلوب الاجتماعي عام 1895م. الانتحار عام 1897م. الأشكال الأولية للحياة الدينية عام 1912م. ميّز المجتمع بكيانه الخاص من خلال توضيح الفرق بين علم الاجتماع، والفلسفة، والاقتصاد، وعلم النفس، وغيرها من العلوم الاجتماعية. درس الحقائق الاجتماعية، وسمات الجماعة، والأفراد. ناقش سمات الوجود الجماعي من خلال الدين، والهيكل الحضرية، والنظم القانونية، والقيم الأخلاقية. أسّس قسم علم الاجتماع في عام (1895م) في جامعة بوردو.

هيربرت سبنسر وُلد عالم الاجتماع والفيلسوف الإنجليزي هيربرت سبنسر في 27 نيسان عام 1820م، في مدينة دربي في إنجلترا، وهو من أبرز الدعاة لنظرية التطوّر والانتقاء

الطبيعي، والتي تنطبق على المجتمعات البشرية، والطبقات الاجتماعية، والأفراد، عمل هيربرت جاهداً من أجل تطوير علم الاجتماع الحديث وكان أحد أهم الفلاسفة الاجتماعيين، وكانت أبرز مساهماته في علم الاجتماع ما يأتي: لُقّب بأبو التطوريين الكلاسيكيين كونه الأكثر بروزاً في التطور الاجتماعي، حيث أنشأ نظرية التطور الاجتماعي. عُيّن محرراً في مجلة الإيكونوميست عام 1848م. ألف العديد من المؤلفات في علم الاجتماع وفي العديد من المواضيع الأخرى وهي كما يأتي: الإحصائيات الاجتماعية 1850م. دراسة علم الاجتماع 1873م. مبادئ علم الاجتماع عام 1880م. مبادئ الأخلاق عام 1891م. الفلسفة التركيبية عام 1896م. مبدأ علم الأحياء .

ماكس فيبر وُلد عالم الاجتماع والخبير الاقتصادي السياسي ماكس فيبر في 21 من نيسان عام 1864م في إرفورت في ألمانيا، تعلّم في جامعة هايدلبرغ وحصل على الدكتوراه في برلين، وأصبح واحداً من أهم علماء الاجتماع في التاريخ، كما عُرف فيبر بأفكاره عن البيروقراطية ومطالباته بالموضوعية في المنح الدراسية، كان والده ليبرالياً طموحاً في حزب الليبراليين الوطنيين ونقل العائلة من إرفورت إلى برلين وأصبح عضواً فيها، وكانت أبرز مساهماته في علم الاجتماع ما يأتي: تأليف أطروحة أخلاقيات البروتستانتية التي ربطت بين البروتستانتية والرأسمالية. إيجاد مفهوم القفص الحديدي في علم الاجتماع لأول مرة عام 1905، والذي تحدّث عن العلاقات التكنولوجية والاقتصادية التي تطوّرت ونمت من النظام الرأسمالي في المجتمع. التحدث عن الطبقة الاجتماعية بأنها من الأفكار المهمة في علم الاجتماع والتي تتمثّل بموقع المرء في المجتمع مقارنة بالآخرين تبعاً لملكية وسائل الانتاج والمال، وأنّ مكانة المرء مرتبطة بتعليمه، ومهنته، وانتماءاته السياسية وغيرها. أسّس قسم علم الاجتماع في جامعة لودفيغ ماكس فيبر في ميونخ (1919م).

ابن خلدون وُلد عبد الرحمن بن محمد والمعروف باسم ابن خلدون عام 732هـ في تونس العاصمة حيث درس فيها لأسرة من الطبقة العليا والتي استقرت في إسبانيا في عهد حكم المسلمين في القرن الثامن، ويُعتبر ابن خلدون مؤسس ووالد علم الاجتماع والتاريخ، تابع دراسته في فاس، ودرس القرآن، والأدب العربي، والفلسفة، والرياضيات، والعديد من الدراسات الإسلامية والشريعة الإسلامية، وكانت أبرز مساهماته في علم الاجتماع ما يأتي: تأليف كتاب مقدمة ابن خلدون الذي تناول الأدب عن فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع. تحليل ديناميكا علاقات المجموعة وكيفية إظهار مشاعر المجموعة. تحديد العوامل التي ساهمت في الصعود والهبوط في الحضارة الإنسانية. التأثير بداروين والكتابة حول تطوّر البشر من عالم القرد خلال عملية متّسعة سبّبت تنوعاً. الكشف عن علم الثقافة والعوامل الاجتماعية التي تحكم الأحداث الظاهرة. منحه لقب الأب الحقيقي لعلم الاجتماع فقد سبق جميع من تمّ ذكرهم في الكشف عن وجود هذا العلم ودوره في المجتمع.

سان سيمون وُلد الفيلسوف الاجتماعي الكونت سان سيمون عام 1760م، وكان له أثر كبير في الفكر الاجتماعي الحديث في أوائل القرن الـ19 عن التطورات الاشتراكية الصناعية والوضعية، وعلم الاجتماع، والاقتصاد السياسي، وفلسفة التاريخ، ولم يكن له أيّ مؤلفات طويلة وإنّما مقالات وكتيّبات قصيرة، نظراً للضعف التنظيمي والمفاهيم غير الواضحة والمتداخلة، رغم تأثر العديد من الطلاب به وبأفكاره مثل أوغست كونت، وكانت أبرز مساهماته في علم الاجتماع ما يأتي: يُعدّ أول من عرّف آثار التصنيع الثورية للمؤسسات التقليدية والأخلاق. ندّد بإعادة البناء الاجتماعي من خلال الدفاع عن العلم الطبيعي للمجتمع. وضع صيغاً مؤقتةً للنظرية العضوية التطورية. افتتح مدرسة الكائن العضوي الوضعي، والتي تحدثت عن الماركسية، والنزعة النفعية وغيرها من العلوم الاجتماعية، كما تحدّثت عن الوظيفة المعاصرة في علم الإنسان والاجتماع.

كارل ماركس وُلد الفيلسوف والمؤلف والمنظر الاجتماعي والاقتصادي كارل ماركس عام 1818م، وقد اشتهر بنظرياته الرأسمالية والشيوعية والمستلهمة من الاقتصاديين السياسيين الكلاسيكيين أمثال آدم سميث وديفيد ريكاردو، كما اشتهر أيضاً باستحدثاته لاقتصاده الخاص والمعروف بالاقتصاد الماركسي الذي كان له تأثير على المجتمعات خاصة المجتمعات الشيوعية، كالاتحاد السوفييتي والصين وغيرها.

أوجّد كارل ماركس العلاقة بين الاقتصاد والعمال من خلال نظرية الصراع والتي تنص على أنّ المجتمعات البشرية عبارة عن صراع قائم بين طبقتين اجتماعيتين، وهما البروليتاريا؛ وهي الطبقة العاملة أو الطبقة التي لا تملك، والبرجوازية؛ وهي الطبقة العليا والرؤساء والحكام أو الطبقة التي تملك الثروة، حيث عالجت نظرية الصراع لكارل ماركس عدّة محاور، مثل: دور المال في السيطرة على الطبقة العاملة، وتمييز الطبقات الاجتماعية تبعاً لنوع العمل، وعلاقة العمال، والمال، والحكومة، والمجتمع، وتأثير الاقتصاد على التفاوت الاجتماعي.

أهم نظريات علم الاجتماع

تعددت النظريات الحديثة في علم الاجتماع، ومن أبرز هذه النظريات ما يأتي :
النظرية الهيكلية/ النظرية الوظيفية

تقوم هذا النظرية على عكس أسس المجتمع وعلاقات الأفراد وتحديد شخصياتهم، وتدرس الواقع الاجتماعي وحرية الفرد والفرد الحر وأنواع الحريات، ومن جهة أخرى تتابع القوانين التي تشكل المجتمع الواحد، ومن أبرز رواد هذه المدرسة والذي يعد من المؤسسين للمدرسة الوظيفية (إميل دوركهايم). حيث اعتبر دوركهايم أنّه يجب أن يقوم كل فرد في المجتمع

بوظيفته، ويعتمد في ذلك على نظام يسميه بنظام تقسيم العمل، حيث يساعد هذا النظام على قيام التكافل الاجتماعي بين الناس مما يؤدي بالضرورة إلى قيام المجتمع المتعاون. أهم مبادئ النظرية من أهم مبادئ النظرية الهيكلية ما يأتي: المجتمع يتألف من أجزاء ولكل جزء وظيفة معينة يجب القيام بها. لكل جزء من المجتمع وظيفة معينة تحقق التكامل الاجتماعي وتساعد في قيام المجتمع. وجود نظام اتصال بين أجزاء المجتمع تدفعه للتواصل من خلال مهارات الاتصال التي تتنوع بين أجزاء المجتمع. نظام العمل في المجتمع يتقسم بين أفرادهِ ويحدد واجبات كل فرد في المجتمع، وقد يفرض عليه طريق التواصل التي تناسبه.

نظرية الصراع

هذه النظرية تقوم على افتراض يقول إن المجتمع يقوم على الصراع، وهذا الصراع المستمر يكون بسبب التنافس بين أفراد المجتمع على الموارد المحدودة، وبحسب هذه النظرية يجب أن توجد سلطة تقوم على السيطرة على المجتمع، حتى وإن أدى هذا إلى القمع إلى كبت الحريات بهدف المصلحة العامة، فأصحاب الطبقة الغنية لا يتنازلون عن أموالهم وسلطاتهم لصالح الفقراء، وبهذا توجب النظرية على المجتمع بأن يقوم كل فرد ببذل الجهد لتتحصل له المنافع قدر المستطاع.

نظرية الدور

تقوم هذه النظرية بالنظرية المباشرة لدور كل فرد من أفراد المجتمع ودوره في المجتمع، إذ إن الدور هو الوسيط بين الفرد وبين المجتمع، فدور الفرد في المجتمع هو الذي يكسبه منزلته ومكانته، ودوره يتحدد من خلال المهام والواجبات التي تخصه، ومن خلال دور الشخص يمكن توقع سلوكياته في المجتمع.

نظرية التبادل الاجتماعي

تقوم هذه النظرية على اعتبار الحياة الاجتماعية عملية تبادلية وتفاعلية، بمعنى أن أطراف المجتمع يتفاعلون مع بعضهم بين أخذ وعطاء، وهذا يسبب متانة العلاقة بينهم وتعمقها، وتوضح هذه النظرية أنه إذا قام أطراف المجتمع بالأخذ فقط أو العطاء فقط فإن العلاقة ستتلاشى وتنقطع بين جميع الأطراف.